- فخامةَ الرَّئيسِ عبَّاس.
- أصحابَ القَدَاسَةِ والسَّعادَةِ والسُّمُوِ.
- السَّادةُ المُشَارِكُونَ الكِرامُ:
أشكرُ الإمامَ الأكبرَ شيخَ الأزهَرِ الدُّكتور/ أحمد الطَّيِّب على الدَّعوة إلى هذا المؤتمرِ المهمّ، والَّذي يأتي في وَقتٍ مُنَاسِبٍ جِدًّا.
أُخَاطِبُكُم جَمِيعًا باسمِ مجلسِ الكنائسِ العَالَميِّ، وَهِي زمالةٌ عالميَّة تتكوَّنُ من (٣٤٨) كنيسة أرثوذكسية وأنغليكانية وبروتستانتية من جميع أنحاءِ العالَمِ.
الزَّمالةُ المسِيحِيَّةُ الَّتي أُمثِّلُها تُشَارِكُكُم - وَتُشَارِكُ العَدِيدَ من الأشخَاصِ الآخَرِينَ فِي جَمِيعِ أَنحَاءِ العَالَمِ - حُبًّا وَقَلَقًا عَمِيقَينِ للقُدسِ والشُّعوبِ الَّتي تعيشُ هناك في العَهدِ الجَدِيدِ، نَقرَأُ كَيفَ كانَ (يَسُوعُ) المسيحُ يُبكي على هذه المدينةِ حبًّا وشوقًا. «لَيتَكِ اليومَ تَعْرِفِينَ مَصدَرَ سَلَامِكِ!» (لوقا ١٩:٤٢).
اتِّبَاعُ كَلِمَةِ (يسوع)، والحَذوُ حَذوَهُ يعني قولَ الحقيقةِ والسَّعي إلى العَدَالَةِ، وأن نَكُونَ صَانِعِي سَلامٍ تجَاهَ الصِّرَاعَاتِ والخِلافَاتِ فِي العَالَمِ، فإنَّ مَجلِسَ الكنائس يُعلنُ ويَسعَى إلى الإسهَامِ والالتِزَامِ بِتَحقِيقِ سَلامٍ عَادِلٍ للقُدسِ.
صَلَاتُنَا هِي دَائمًا من أجلِ سَلامِ القُدسِ (المزامير ١٢٢:٦)، وهو سَلامٌ لا يُمكِنُ أن يَتَحَقَّقَ ويَدُومَ إلَّا إذا كانَ مُؤسَّسًا على العَدَالَةِ.
تُوجَدُ من بَينِ كَنَائِسِنَا الأعضَاء طَوَائفُ مَسِيحِيَّةٌ أصليةٌ في القُدسِ، مُستَقبَلُها -في مَدِينتِهَا- مُعرَّضٌ لخَطرٍ كبيرٍ ووشيكٍ بسببِ الظُّروفِ السَّائدَةِ.
إنَّ الشَّعبَ الفلسطينيَّ يعيشُ تحتَ الاحتلالِ، ويُعَانِي من الآثارِ السَّلبيَةِ للاستيطَانِ غَيرِ القَانُونيِّ، وَهُم يَعِيشُونَ أيضًا بِنَوَايا لم يُحَقِّقهَا المجتمعُ الدَّوليّ؛ تتمثَّلُ في دَعمِ حَلٍّ عَادِلٍ ومُجدٍ للقُدس ولجميعِ الأشخاص الَّذين يعيشونُ فِي الأرضِ المُقَدَّسَةِ.
وتُعتَبَرُ مدينةُ القُدسِ مدينةً مَقدِسيَةً يُحِبُّهَا بِشَغَفٍ كُلُّ مَن يَنتَسِبُ إلى الدِّيانَاتِ الإبرَاهِيمِيَّةِ الثَّلاثةِ: اليهود، والمسيحيّين، والمسلمينَ، يجبُ احترامُ هذا الحُبِّ والتَّعلُّقِ العَمِيقَينِ فِي أيِّ حَلٍّ يمكنُ تَصَوّرُهُ، إذا أريدَ له أن يكونَ مُجدِيًا، ولكن يَجِبُ أن نَعتَرِفَ أيضًا بالمَيلِ البَشَرِيِّ الَّذي يُعبِّرُ عن مِثلِ هذا الحُبِّ العَمِيقِ بالسَّعي إلى امتلاكِ الشَّيء امتلاكًا حَصرِيًّا، وإنكَارِ أو حَجبِ حُبِّ الآخرينَ لهذَا المَكَانِ وتَعَلُّقِهم به.

وإلى جَانِبِ ذَلِكَ..يَتَعَيَّنُ علينا أن نَعتَرِفَ بِأنَّ تاريخَ القُدسِ وثَقَافَتَهَا مُعَقَّدانِ جِدًّا، ويَتَبَيَّنُ من التَّاريخ أنَّ تَدَاخُلَ هَذِهِ الأديانِ الثَّلاثةِ في هذه المنطقةِ لم يُحَقِّقِ السَّلامَ العَادِلَ للجَمِيعِ، وهَذَا للأسفِ، لا يَزَالُ صَحِيحًا إلى غَايَةِ اليَومِ.
إنَّ مُستَقبَلَ القُدسِ يَجِبُ أن يَكُونَ مُستَقبَلًا مُشتَرَكًا، لا يمكنُ أن يكونَ مِلكًا حصريًّا لديانةٍ واحدةٍ على حسابِ الدِّيانات الأُخرى، أو لشَعبٍ واحدٍ على حسابِ الآخَرين.
إنَّ القُدسَ هي مدينةٌ لثلاثِ دِيَاناتٍ وشَعبَين، ويَجِبُ أن تَستَمِرَّ على ذلكَ، وقد أكَّدَ ذلكَ قادَةُ الكنائس فِي القُدس مرارًا وتكرارًا، قائلينَ في عام (١٩٩٤م):
«إنَّ التَّاريخَ علَّمَنَا أنَّه لكي تكونَ مدينةُ القُدس مدينةَ سَلامٍ لا يطمعُ فيها الخارجُ، ولا تكونَ محلَّ صِراعٍ بين الأطرافِ المتنازعةِ، لا يمكنُ أن تنتميَ إلى شعبٍ واحدٍ أو إلى دينٍ واحدٍ فقط...».
وفي عام (٢٠٠٦م)، ذهبتِ القيادةُ المسيحيَّةُ في القُدس إلى أبعدَ من ذلك:
«القُدسُ مدينةٌ مُقَدَّسَةٌ، إرثٌ للإنسانية، مدينةُ شعبَينِ وثلاثِ ديانات، لها طابعٌ فريدٌ يُميِّزُهَا عن جميعِ مُدُنِ العالَمِ الأُخرى... شعبان اثنان يخدمانِ قُدسِيَّتَها ويَتَحَمَّلانِ مسئوليةً مزدوجةً: تنظيمُ حياتهما في المدينة واستقبالُ جميعِ (الحُجَّاج) الَّذينَ يأتون من جميعِ أنحاء العالَمِ».
وخلالَ عام (١٩٧٤م) أكَّدَ مجلسُ الكنائسِ العالَميِّ -وبقوَّةٍ- أنَّ القُدسَ «مدينةٌ مفتوحةٌ في وجهِ كُلِّ أتباع الدِّيانات الثَّلاث، حيثُ يُمكِنُ لهم الاجتماعُ والعيشُ معًا». وبعد ذلك أكَّدَ المجلسُ عام (١٩٩٨م): «أنَّ القُدسَ يجبُ أن تكونَ مدينةً مُشتركةً عندما يتعلَّقُ الأمرُ بالسِّيادةِ والمُواطنةِ».
وانطلاقًا من هذا المنظورِ، فإنَّ الإعلانَ الأخيرَ للرَّئيس الأمريكيّ للولايات المتّحدة الأمريكيَّة الخاصّ بالاعترافِ بالقُدس كعاصِمَةٍ لإسرائيلَ، لم يحلّ المشكلةَ العالقَةَ، بل على عكسِ ذلك تَسَبَّبَ في وضعِ عراقيلَ جسيمةٍ أمامَ تحقيقِ السَّلام العادلِ. وقد سبقَ وأن أنذرَ زُعماءُ الكنائسِ في القُدسِ -بدعم من كُلِّ الكنائسِ حَولَ العالَمِ- الإدارةَ الأمريكيَّة قبل اتِّخاذِ هذا القرارِ، وفي بيانٍ رسميٍّ مؤدّاهُ: «إنَّ الطابعَ الانفراديَّ للتَّحكم في مصيرِ القُدس سَيُؤَدِّي لا محالةَ إلى رؤًى مستقبلية مُظلمة». وبالفعلِ فقد أدَّى هذا القرارُ إلى إثارَةِ الغضبِ واليأسِ لدى طرفٍ واحدٍ، بل وشجَّعَ الطَّرفَ الآخرَ على تقديمِ اقتراحَات تَهدِفُ إلى ضَمِّ الضَّفة الغربيَّة.

وقد أدَّى الوضعُ الراهنُ إلى أهمِّيَّةِ اتِّخاذِ مبادراتٍ عاجلةٍ من أجلِ تمكينِ تحقيقِ السَّلام العادلِ في القُدسِ، وفي حالِ الاتِّفاقِ على جعلِ القُدسِ عاصمةً لشعبينِ يعيشانِ معًا جنبًا إلى جَنبٍ، ويتمتَّعانِ بحقوقٍ مُتساويةٍ، فيتوجَّبُ التَّوصُّلُ إلى تسويةٍ سياسيَّةٍ مع وضعِ أفكارٍ ملموسةٍ لتحقيقِ ذلك.
وإذا ما أصبحت القُدسُ عاصمةً لشعبينِ ودولتَينِ، فيتعيَّنُ تحديدُ حدودِ هاتينِ الدَّولتَينِ والاعترافَ بِهما دوليًّا وبشكلٍ مقبولٍ من الجميع في ظِلِّ حدودٍ دوليَّةٍ مُتعارفٍ عليها.
وفي عام (١٩٤٨م)، لم تطبق خُطّة الأمَمِ المتَّحدة، بشأن القُدس تحت اسم (كيانين منفصلين) يخضعانِ للقانونِ الدَّوليِّ على أرضِ الواقعِ؛ ولهذا السببِ أصبحت مسألةُ تطبيقِ خُطَّةٍ رسميَّة على الصَّعيد الدَّوليّ تخصُّ مدينةَ القُدسِ شيئًا مُستبعدًا، غير أنَّ أيًّا من الأطراف لا يمكنُ لها أن تحددَ بشكلٍ انفراديٍّ شَكلَ القانونِ الدَّوليّ فيما يخُصُّ هذه المسألة.
ولا يمكنُ لأيِّ دولةٍ أن تَفرِضَ حَلًّا بالقوَّة فيما يَخُصُّ هذه المسألة، بل من المفترضِ أن تتمَّ التَّسويَةُ من خلالِ مُفاوضاتٍ ثُنائيَّةٍ بين السُّلطات الفلسطينيَّة والإسرائيليَّة، بل يتعيَّنُ أن تَحظى هذه المفاوضاتُ بدعمٍ واسعٍ من المجتمعِ الدَّوليِّ وعلى وجهِ الخُصوصِ من باقي الدُّول الموجودة في منطقة الشَّرق الأوسط، والَّتي يتعيَّنُ عليها أن تلتزمَ بمسئوليةٍ أكبرَ للمساعدةِ من أجلِ إيجادِ تسويةٍ مُستدامةٍ في المستقبلِ من أجلِ تحقيقِ سَلامٍ عادلٍ في القُدس.
غير أنَّه يتعيَّنُ متابعةُ هذه النَّظرةِ والتَّسويةِ المنشودتين، والتَّفكير عمليًّا في معنى وجودِ قُدس مُشتركٍ للعيشِ معًا. هذا مع العلمِ أنَّ تواصلَ النِّزاعِ القائمِ في مدينة القُدس يتسببُ في وجود تَوَتُّرٍ ونزاعٍ في المنطقةِ برمَّتِها وفي باقي أنحاء العالَمِ، وبدلًا من تأجيلِ إيجادِ حَلٍّ لمسألَةِ القُدس والتَّوصُّلِ إلى تحقيقِ حَلٍّ نهائيٍّ يجبُ التَّفكيرُ في أنَّ تسويةَ النِّزاعِ بشأنِ وضعِ مدينة القُدسِ سيُؤدي بدون شَكٍّ إلى وضعٍ زخمٍ وطاقةٍ من أجلِ تسويةِ كُلِّ جوانبِ النِّزاعِ.
بصفتِنا مؤمنينَ باللَّه العظيمِ، ينبغي لنَا أن نستكشفَ معًا ما يعنيه التَّعبيرُ عن محبَّةِ اللَّه في هذا الصِّراعِ الَّذي تُشاركُ فيه الدِّيانات التَّوحيديَّة الثَّلاث وطوائفها، لن يكونَ هناك سلامٌ في القُدس ما لم تُحتَرَم جميعُ الدِّيانات الثَّلاث، وتُشارِك في الحلِّ.

ومن ناحيَّة أُخرى، فإنَّ الوضعَ يدعُو جميعَ هذه الدِّيانات الثَّلاث، محليًّا ودوليًّا، إلى تقديمِ مساهماتٍ مُخلصةٍ وعمليَّةٍ في الآمالِ والتَّطلعات من أجلِ تحقيقِ سَلامٍ عادلٍ للقُدس.
لقد حانَ الوقتُ لجميعِ الحاضرينَ هنا لوضعِ مُبَادراتٍ جديدةٍ يمكن أن تُوَفِّرَ سَلامًا مُستدامًا ودائمًا في المنطقة، ونحنُ مِدينون بذلك لأطفالِنا وللأجيالِ القادمةِ.
فلنكنُ جميعًا مساهمين في سَلامٍ عادلٍ، لا في صِرَاعٍ دائمٍ.